

١ - ان المتعمقين في الدراسات السويسرية يؤكدون ان تاريخ سويسرا لم يكن هادئا ، وان تطورها السياسي ، عبر العصور ، لم يكتمل الا عبر المأسسي واللام . فاصل الاتحاد السويسري يعود الى ميثاق التحالف الذي ابرمته ، في عام ١٢٩١ ، ثلاث مقاطعات بقصد الدفاع عن نفسها ضد السيطرة النمساوية والجرمانية . وفي عام ١٣١٥ ، جرت ممالك طاحنة حاسمة بين الطرفين انتهت بطرد المستعمر الاجنبي من المقاطعات . وارتفع عدد المقاطعات ، آنذاك ، الى الثلاث عشرة ، واتسم تاريخ البلاد بسيطرة الاقطاعية والمركزية و بانتشار الفوضى والاضطرابات في العلاقات المتبادلة بين المقاطعات .

وفي نهاية القرن الثامن عشر بدأت العناصر التقدمية في الشعب السويسري تتحرك للمطالبة بالوحدة الوطنية وبتحويل الكانتونات الى دولة موحدة . وكانت الثورة الفرنسية مناسبة كبرى للتعبير عن نغمة الشعب السويسري على النظام الاقطاعي المستبد ونظام كانتوناته الهزيل . ولكن الجيوش الفرنسية التي احتلت سويسرا ، في عام ١٧٩٨ ، وفرضت عليها دستورا جعلتها بموجبها « جمهورية سويسرية موحدة وغير قابلة للتجزئة » ارتكبت خطأ فادحا عندما ارادت اخضاعها لتوحيد مطلق سابق لاوانه ، على قرار التوحيد الذي حققته الثورة في فرنسا . وكان من نتيجة هذا الخطأ ان نشبت ، في عام ١٨٠٠ ، ثورة في سويسرا اطاحت بالحكومة التي تشكلت بحماية حكومة « المديرين » الفرنسية . وبعد عام اندلعت حرب اهلية بين المقاطعات حدت بنابليون الذي التدخل (١٦) .

وفي عام ١٨١٥ ، وعلى اثر انهيار الامبراطورية النابليونية ، ارتفع عدد المقاطعات المنضمة الى التحالف السويسري الى اثنتين وعشرين ، وظهر في البلاد تياران : وحدوي واتحادي . غير ان كفة التيار الاتحادي هي التي رجحت .

وتأثرت سويسرا ، في النصف الاول من القرن المنصرم ، بالانجازات الديمقراطية والتحررية التي هبت على الغرب . وشهدت الصناعة فيها تطورا مضموسا حملها على توحيد انظمتها المالية والاقتصادية ، والغاء الجمارك بين مقاطعاتها ، والبحث عن اسواق خارجية لتصريف منتوجاتها . ولكن الخلافات والمنازعات الدينية عادت لتمكر صفو العلاقات بين المقاطعات الكاثوليكية (الاقل عددا وثروة) والمقاطعات البروتستانتية . وفي عام ١٨٤٧ ، اندلعت حرب اهلية خاطفة فيها انتهت بانتصار المقاطعات الاخيرة .

وما دمنا نتصفح تاريخ سويسرا فلا بد لنا من قراءة صفحة سوداء فيه . لقد عرف السويسريون ، بعد عام ١٣١٥ ، فترة سلام اتسمت بتكاثر السكان